

مظاهر الانزياح الصّرفي في القرآن الكريم

Manifestations of morphological displacement in the Holy Quran

شيماء العابد*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)+

c.abed97@univ-chlef.dz

مخبر نظرية اللغة الوظيفية

*د/ صفية بن زينة

Safou_nour@hotmail.com

تاريخ النشر: 2023/07/09

تاريخ القبول: 2023/06/05

تاريخ الارسال: 2023/02/07

الملخص:

يُعدُّ المستوى الصّرفي من أهم المستويات اللّغوية التي تتضافر وفق نظام مخصوصٍ لتحقيق الأسلوب المُعْجَز للقرآن، وإِتنا في هذا البحث سنركّز على ظاهرة من الظواهر الصّرفيّة الهامّة التي وردت في القرآن الكريم، والتي اهتمّ بها العلماء دراسةً واستظهاراً، نظراً لمكانتها في الدّرس اللّغوي، وهي ظاهرة العُدُول الصّرفي في القرآن الكريم. نهدف في هذا البحث إلى استجلاء مواطن العُدُول الصّرفي في القرآن الكريم من خلال نماذج متفرّقة منه، وبيان أهمّ الدّلالات التي أنتجها هذا الخروج عن المألوف، وذلك بعد اعتمادنا على المنهج التحليلي في تحليل الآيات ودلالاتها، ثم أتبعنا كلّ آية بتفسيرٍ من التفسير المعروفة لعلماء اللّغة الأجلاء.

الكلمات المفتاحية: العُدُول، الصّرف، الإعجاز، القرآن الكريم، البلاغة.

Abstract:

The morphological level is one of the most important linguistic levels that combine according to a specific system to achieve the miraculous method of the Qur'an, and in this research we will focus on one of the important morphological phenomena mentioned in the Holy Qur'an, which scholars have been interested in studying and memorizing, given its place in the linguistic lesson, which is the phenomenon of justice Syntax in the Holy Qur'an. We aim in this research to elucidate the places of morphological justice in the Noble Qur'an through various models, and to clarify the most important connotations produced by this departure from the norm, after we relied on the analytical method in analyzing verses and their connotations, and then we followed each verse with an interpretation of the well-known interpretations of venerable linguists. .

Key words: Fairness, Exchange, Miracles, The Noble Qur'an, Rhetoric..

*** **

c.abed97@univ-chlef.dz*

Safou_nour@hotmail.com *

مقدمة:

نَزَلَ الْقُرْآنُ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِنَا الْكَرِيمِ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فَقَدْ احْتَوَتْ آيَاتُهُ عَلَى مِيزَاتٍ لُغَةِ الْعَرَبِ، فَكَانَ بِذَلِكَ مُعْجَزاً بِنِظْمِهِ وَائْتِلَافِ مَفْرَدَاتِهِ وَفَقَّ أَسْلُوبٍ مُخْصُوصٍ، يَقُولُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت 1973م): "مِنْ تَمَامِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَضَمَّنَ مِنَ الْمَعَانِي مَعَ إِجْازٍ لَفْظِهِ"¹، وَهُوَ مَا عَلَيْهِ الْقُرْآنُ حَقّاً فَلَا نَصَّ مُعْجَزٍ إِلَّا هُوَ، وَلَا كِتَابَ كَامِلٍ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ.

يُعَدُّ الْمُسْتَوَى الصَّرْفِيُّ مِنْ أَهَمِّ الْمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَتَظَاوَرُ وَفَقَ نِظَامٍ مُخْصُوصٍ لِتَحْقِيقِ الْأَسْلُوبِ الْمُعْجَزِ لِلْقُرْآنِ، وَإِنَّا فِي هَذَا الْبَحْثِ سَنُرَكِّزُ عَلَى ظَاهِرَةِ مِنَ الظَّوَاهِرِ الصَّرْفِيَّةِ الْهَامَّةِ الَّتِي أَهْتَمَّ بِهَا الْعُلَمَاءُ دِرَاسَةً وَاسْتِظْهَاراً، نَظراً لِمَكَانَتِهَا فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ، وَهِيَ ظَاهِرَةُ الْعُدُولِ الصَّرْفِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. الْعُدُولُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الْأَسْلُوبِيَّةِ هُوَ الْإِنْزِيَا حِ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْقَاعِدَةِ الصَّرْفِيَّةِ، لَكِنْ دُونَ الْإِخْلَالِ بِالْمَعْنَى، وَهُوَ مَبْحَثٌ تَتَصَاقَبُ فِيهِ عُلُومٌ شَتَّى: كَالْبَلَاغَةِ وَالْأَسْلُوبِيَّةِ، وَعِلْمُ الْمَعْنَى، وَالصَّرْفِ، وَالصَّوْتِيَّاتِ، وَالتَّدَاوُلِيَّةِ وَغَيْرِهَا، فَالْعُدُولُ بِذَلِكَ هُوَ خَاصِيَّةٌ لِلتَّمْيِيزِ وَلَيْسَ خَرَقاً لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي النُّصُوصِ الْمُتَمَيِّزَةِ وَأَوَّلِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

فَالنَّازِرُ لِلنَّصِ الْقُرْآنِيِّ يَدْرِكُ مَبَاشَرَةً لَطَائِفَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاقِعِ الْعُدُولِ فِيهِ، فَالْإِنْزِيَا حِ مِنْ بَنِيَّةٍ إِلَى بَنِيَّةٍ أُخْرَى لَا يَكُونُ اعْتِبَاطِيّاً، وَإِنَّمَا خِدْمَةٌ لِبَلَاغَةِ الْخُطَابِ الْقُرْآنِيِّ، وَتَحْقِيقِ خَاصِيَّةِ التَّأَثُّرِ وَالتَّأَثُّرِ فِي الْقَارِئِ وَالسَّامِعِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ.

نَهْدَفُ فِي هَذَا الْبَحْثِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ مَوَاطِنِ الْعُدُولِ الصَّرْفِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ خِلَالِ نَمَازِجٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَبَيَانِ أَهَمِّ الدَّلَالَاتِ الَّتِي أَنْتَجَتْهَا هَذَا الْخُرُوجُ عَنِ الْمَأْلُوفِ، وَذَلِكَ بَعْدَ اعْتِمَادِنَا عَلَى الْمَنْهَجِ التَّحْلِيلِيِّ

فِي تَحْلِيلِ الْآيَاتِ وَدَلَالَاتِهَا، ثُمَّ اتَّبَعْنَا كُلَّ آيَةٍ بِتَفْسِيرٍ مِنْ التَّفَاسِيرِ الْعُرُوفَةِ لِعُلَمَاءِ اللُّغَةِ الْأَجْلَاءِ، وَلِتَحْقِيقِ تَأْسِيسِ حَقِيقِيٍّ لِلْبَحْثِ اعْتَمَدْنَا عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ وَهِيَ:

- الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ، تَفْسِيرُ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ.
- مَاجِدَةُ صِلَاحِ حَسَنِ، الْعُدُولُ الصَّرْفِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

- طَاهِرُ بَرَاهِيْمِي، بَلَاغَةُ الْعُدُولِ الصَّرْفِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

- عَبْدُ النَّاصِرِ مَشْرِي، دَلَالَاتُ الْعُدُولِ الصَّرْفِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (رِسَالَةٌ دَكْتُورَاه).

وَمِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ، يُمْكِنُنَا طَرَحُ الْإِشْكَالِيَّةِ التَّالِيَةِ:
مَا مَفْهُومُ الْعُدُولِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً؟ وَمَا مَفْهُومُ مُصْطَلَحِ الْعُدُولِ الصَّرْفِيِّ؟ وَمَاهِي أَهَمُّ أَنْوَاعِ الْعُدُولِ الصَّرْفِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَأْثِيرُهَا عَلَى بَلَاغَةِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ؟

وَلِلْإِجَابَةِ عَلَى هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّةِ، قَسَمْنَا بَحْثَنَا إِلَى عُنَاصِرٍ عَدِيدَةٍ، بَدَأْنَا بِتَعْرِيفِ الْعُدُولِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً، ثُمَّ تَطَرَّقْنَا إِلَى وَجْهِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ الْعُدُولِ وَالْإِنْزِيَا حِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمَسْدِيِّ، بَعْدَهَا أَعْرَجْنَا إِلَى مَفْهُومِ الْعُدُولِ الصَّرْفِيِّ، ثُمَّ اتَّبَعْنَاهُ بِالْعُنَاوِينِ التَّالِيَةِ شَرْحاً وَتَفْصِيلاً:

- الْعُدُولُ عَنِ الْمَفْرَدِ إِلَى الْمُثْنِ.
- الْعُدُولُ عَنِ الْمَفْرَدِ إِلَى الْجَمْعِ.
- الْعُدُولُ عَنِ الْجَمْعِ إِلَى الْمَفْرَدِ.
- الْعُدُولُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ إِلَى النِّكَرَةِ.
- الْعُدُولُ عَنِ النِّكَرَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ.
- الْعُدُولُ مِنَ الْمُبْنِيِّ لِلْمُجْهُولِ إِلَى الْمُبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ.
- الْعُدُولُ بَيْنَ الْمَصَادِرِ.

1. الْعُدُولُ:

وعُدُولٌ بِاللَّفْظِ عَنِ الظَّاهِرِ. فما من ضربٍ من هذه الضُّرُوبِ إِلَّا وهو إذا وقع على الصُّوَابِ وعلى ما ينبغي أَوْجَبَ الْفَضْلَ والمِزْيَةَ⁵. وهنا يؤكد عبد القاهر لجرجاني على فضل ومزية العدول ، وبأنّه ملمح من ملامح الإعجاز اللغوي في العربية .

ويقول ابن الأثير (ت 630هـ) عن العُدُول: "واعلم أيّها الموشّح لمعرفة علم البيان أن العُدُولَ عن صيغةٍ من الألفاظِ إلى صيغةٍ أخرى لا يكون إلاّ لنوع خصوصيةٍ اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه إلاّ العارف برموزِ الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها وفتش على دفائنها"⁶.

أجمعت التعاريف السابقة على أن مفهوم العُدُول في الاصطلاح هو الخروج عن صيغة إلى صيغة أخرى، ومن بنية إلى بنية أخرى لغرضٍ بلاغي، ولا يؤتى هذا الفضلُ إلاّ كلّ مقتدر بعلوم العربية وفنونها.

-عند المحدثين:

أمّا تعريف العُدُول عند المحدثين فنجد قول عبد السلام المسدي: "هذا العُدُول قد عبّر عنه في الدّراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها: الانحراف، والانزياح، والانحلال، والانتهاك، والتّجاوز، والمخالفة، واللّحن، وخرق السّنن، والشّناعة، والإطاحة، والتّحريف..."⁷. كلّ هذه المصطلحات تحمل معنى واحد، أمّا الاختلاف في ترجمة المصطلحات الأجنبية لا غير.

أشار عبد السلام المسدي إلى الاختلاف بين العُدُول والانزياح في نظره إذ نجده يقول: "الانزياح ترجمة حرفية للفظة (l'écart) على أنّ المفهوم ذاته يمكن أن نصلّح عليه بعبارة التّجاوز، أو نُحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة العُدُول، وعن طريق التّوليد المعنوي قد نصلّح بها على مفهوم العبارة الأجنبية"⁸.

3. معنى العُدُول الصّرفي:

- لُغَةً: أمّا في معناه فيقال: عَدَلَ عن الشّيء انصرف عنه وحادَ، وهو في تعريف اللّغويين يحمل معنيين متضادين: معنى الإعراض ومعنى الاستواء، يقول ابن فارس(ت 395هـ) في معنى مادة(ع د ل): " فالأوّل العَدْلُ من النَّاسِ: المَرَضِيّ المستوي الطّريقة. يُقال هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ(....) وإنّ فلاناً لعدْلٌ بين العدل والعدل: الحُكْمُ بالاستواء. ويقال للشّيء يساوي الشيء: هو عِدْلُهُ، وَعَدَلْتُ بفلانٍ فلاناً، وهو يعادلُهُ. وأمّا الثّاني: فيُقال في الاعوجاج: عدَلَ وانعَدَلَ، أي انعرج"².

ويشير ابن منظور إلى معنى العُدُول فيقول: "والعدْلُ أن تعدِلَ الشّيء عن وجهه تقول: عدَلْتُ فلاناً عن طريقه وعدَلْتُ الدّابة إلى موضع كذا فإذا أراد الاعوجاج نفسه قيل: هو يُنعَدِلُ أي يَعْوِجُ، وانعَدَلَ عنه وعادَلَ عَوِجاً"³.

وإنّا في هذا الموضع نقصدُ بالعدُول الإعراض والانحراف والانزياح عن القاعدة اللّغويّة، لغرض بلاغي دلالي، والعدُول ليس نقصاً في الخطاب بقدر ما هو سمة بلاغية وملمح إعجازي خاصة في الخطاب القرآني.

2. العُدُول اصطلاحاً:

أطلق عليه ابن جيّ (ت 392هـ) مصطلح (العَدْل) يقول: "معنى العَدْل أن تَلْفُظَ ببناءٍ وأنت تريد بناءً آخر نحو عَمَرُو وأنت تريد عامراً، وَزَفَرِ وأنت تريد زَافِراً"⁴. أي استخدام بنية غير البنية التي تستخدم في العادة.

كما يستخدمه الكثير من البلاغيين، يقول عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ): "اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسم تُعزى المِزْيَةُ والحُسْنُ فيه إلى اللَّفْظِ، وقسمٌ يُعزى ذلك فيه إلى النَّظْمِ. فالقسم الأوّل: الكناية والاستعارة والتّمثيل الكائن على حدّ الاستعارة وكلّ ما كان فيه على الجملة مجازاً واتساعاً

اسم المؤلف (المؤلفين)

فيما يخص العدول عن المفرد إلى المثنى فهي ظاهرة غير غريبة عن العرب فقد عُرِفَ عن شعرائها أنهم إذا أرادوا مخاطبة شخص واحد يقولون "افعل ذلك" ¹⁵، لأغراض بلاغية عديدة.

ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات"، وإنما كان رجلاً واحداً، وقوله: "ألقيا في جهنم كل كفار عنيد"، وإنما يخاطب مالكا خازن النار" ¹⁶.

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ ^{٦١} الكهف الآية 61، كان النسيانُ خاصاً بالنبي يوشع دون النبي موسى عليهما السلام بدليل قوله تعالى: (فإني نسيت الحوت) ¹⁷.

وقوله تعالى: ﴿فَبَإْيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ^{٤٩} الرحمان الآية 49، ويقصد هنا جنّة واحدة، يقول الفراء (ت 207هـ): "هذا بابُ مذهب العرب في ثنية البقعة الواحدة وجمعها كقولك: "ديارٌ لها بالرقمتين" وقوله: "بطن مَكْتَيْن" وأشير بذلك إلى نواحيها أو للأشعار بأن لها وجهين، وأنك إذا نظرت لها يمينا وشمالاً رأيت في كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرّة وصدرك مسرة، وإنما ثناها لأجل الفاصلة" ¹⁸.

لقد اعترض الفراء (ت 207 هـ) على هذا التفسير للآية الكريمة فقال "...فأما أن يكون الله وعد بجنتين فجعلها جنّة واحدة من أجل رؤوس الآي فمعاذ الله، وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين، قال: "ذواتا أفنان" ثم قال: "فيهما"، ولو قال في خزنة النار "إنهم عشرون" وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية ما كان هذا القول إلا كقول الفراء" ¹⁹. وفي هذا المعنى اختلافات عديدة.

ب. العدول عن المفرد إلى الجمع:

أما فيما يخص العدول عن المفرد إلى الجمع فـ"من سنة العرب في هذا الباب أن يقولوا للرجل

وكما هو معلوم عن الصّرف: "أن تُصَرِّف الكلمة المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعاني متفاوتة" ⁹. وهذه خاصية وميزة من ميزات اللغة العربية، فهي تختزل معاني عديدة في ألفاظ قليلة، وأنه كلما تعددت المشتقات اتسعت المعاني وغلغلت. العدول الصّرفي هو: "ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول" ¹⁰. أو هو "ترك الصيغة المتوقعة إلى صيغة أخرى غير متوقعة فتحدث مفاجأة أسلوبية ينجر عنها زيادة معنى لم يكن في الصيغة الأولى" ¹¹.

يقول عبد الحميد أحمد يوسف هنداي: "ويمكن تصنيف الانحرافات طبقاً للمستوى اللغوي الذي يعتمد عليه وهذا الشكل يتم التمييز بين الانحرافات الخطيّة والصوتية والصرفية، والمعجمية والتحوية والدلالية" ¹².

إذن "فللعدول الصّيفي الصّرفي مقاصد تكون في الصيغة والسّياق ترتقي بالكلام إلى درجة عالية من الاقتناع والقوة والدقة" ¹³. فكل هذه التعريفات السابقة تؤكد على أن العدول الصّرفي ترك الوزن القياسي المفروض استخدامه عادة، إلى وزن آخر لغرض دلالي وبلاغي، وهذا ما يطلق عليه في الأسلوبية الخروج عن الألف أو الخرق اللغوي.

يقول عبد الحميد هنداي: "ومن ثمّ تعتبر السّياق هو الأصل أو القاعدة التي تتحرّف عنها الصيغة أو تُعدّل عنها إلى صيغة جديدة خالفت السّياق لنكتته، أو غرض بلاغي تُطابق به مقتضى الحال، وتتحقق به المعاني الفنية المطابقة التي هي غاية البلاغة" ¹⁴.

وهنا سنعرّض مجموعة من الانزياحات التي وردت في القرآن الكريم، مع ذكر نوع العدول وسببه والدلالة المتوخاة منه:

أ. العدول عن المفرد إلى المثنى:

اسم المؤلف (المؤلفين)

فَرَزْدَهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلَعَتْهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ٤٧ ﴿﴾ النساء الآية 47، "وإنَّ القارئ ليتوقَّع أن يجد لفظ "وجوهكم" في مكان "وجوهاً"، ولو كان ذلك كذلك ما أصاب المعنى أيُّ قدرٍ من الفساد ولكن لمجيء الوعيد في صورة التَّنْكِيرِ نسب الوجوه إلى أصحابها ولكن بصورة غير مباشرة، ومن ثم جاءت مترقعة غير محدَّدة لأصحاب هذه الوجوه من بين أهل الكتاب، أهُم دعاةُ الكفرِ منهم فقط؟ أم هم جميعُ أفراد الطائفة؟، وهكذا يقود التَّنْكِيرِ الذَّهْن إلى مسارب للمعنى متعدِّدة وهو ما قصدت إليه الآية²⁵.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخِيهِ﴾ من الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ سورة البقرة الآية 96، إنَّ الله تعالى في هذه الآية قد "نكَرَ الحياة قصداً للتنويع، أي كيفما كانت تلك الحياة"²⁶، يقول الزَّمَخْشَرِي (ت538هـ) شارحاً: "فإن قلتَ لمقال: بحياة على التَّنْكِيرِ؟ قلتُ لأنَّه أراد الحياة مخصصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي: "على الحياة"²⁷.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَفِلُونَ﴾ ١٣ ﴿﴾ سورة يوسف الآية 13، فوردت لفظة "الذئب" مُعرَّفة إذ يراد به نوع غير معيَّن من نوع الذئب أو جماعة منه و المراد أيَّة ذات من هذا الجنس دون تعيين، ونظيره قوله تعالى: "كمثل الحمارٍ يحملُ أسفاراً"، أيُّ فردٍ من الحمير غير معيَّن، وقرينة إرادة الفرد دون الجنس إسناد حملِ الأسفارِ إليه لأنَّ الجنس لا يُحمل (...). وهذا التعريف شبيه بالنكرة في المعنى إلاَّ أنَّه مراد به فردٌ من الجنس²⁸.

هـ. العُدُولُ عن المؤنث إلى المذكر:

العظيم والملك الكبير: "انظروا في أمري"، ولأنَّ السَّادة والملوك يقولون "نحن فعلنا"، وإنا أمرنا" فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون في الجواب، كما قال تعالى عسى حضره الموت ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ٩٩﴾ المؤمنون الآية 99²⁰.

ويقول تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ١٧ ﴿﴾ البقرة الآية 17، حيث قال: "بنورهم"، "وتركهم" و"يبصرون" بعد قوله: "استوقد" و"حوله"²¹.

ج. العُدُولُ عن الجمع إلى المفرد:

يقول فيه السيوطي: "من سُنَنِ العربِ ذِكْرُ الواحد والمراد الجمع كقولهم للجماعة ضيفٌ وعدو"²².

أما من القرآن فنجد²³:

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، إذ وصف "الملائكة" وهي كلمة تدلُّ على الجمع، بالوصف المفرد "ظهير" مخالفاً القاعدة النحوية التي تُلزم إلحاق التابع بمتبوعه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النَّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ سَائِرِ مَنَّهُ نَفْسًا فَاكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ سورة النساء الآية 4، حيث استخدم كلمة "نفساً" بدل "أنفساً" أو "نفوساً" على الجمع.

د. العُدُولُ عن المعرفة إلى النكرة:

الانزياح من الاسم العرَّف على التَّنْكِيرِ يحمل دلالات عديدة ف"هو من الوجهة النظرية ردّ فرع إلى أصله باعتبار المعرفة فرعاً عن النكرة، ولكنَّه في واقع اللُّغة ودلالاتها يتجاوز هذا التَّقْسِيمِ النَّظَرِي إلى غاياتٍ بيانية وفنية يكشف عنها سياق العبارة ومكانها في النَّص"²⁴.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا

وخولف بين الفعلين في التعدية مرة بالتضعيف وأخرى بالهمز لتحسين التكرير³².

ح. العُدُول من المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم:

يقول تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٨٧﴾ سورة التوبة الآية 87، وقوله بعدها: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءَ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩٣﴾ سورة التوبة الآية 93، يقول ابن عاشور (ت 1973م): "وأُسْنِدُ الطَّبَعِ إلى المجهول إمّا للعلم بفاعله وهو الله، وإمّا للإشارة إلى أنهم خُلِقُوا كذلك وجُلبوا عليه وفُرع على الطَّبَعِ انعدام علمهم بالأمور التي يختص بعلمها أهل الإِفْهَام، وهو العلم المعبر عنه بالفقه، أي إدراك الأشياء الخفيفة، أي فآثروا نعمة الدِّعة على سُمعة الشَّجاعة وعلى ثواب الجهاد إذ لم يدركوا إلى المحسوسات فلذلك لم يكونوا فاقهين وذلك أصل جميع المضار في الدارين"³³.

وقال في شرح الموضع الثاني: "وأُسْنِدُ الطَّبَعِ على قلوبهم إلى الله في هذه الآية بخلاف ما في الآية السابقة: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٨٧﴾ سورة التوبة الآية 87، لعلّه إشارة إلى أنه طبع غير الطَّبَع الذي جُلبوا عليه بل هو طبع على طبع أنشأه الله في قلوبهم لغضبه عليهم فحرمهم النجاة من الطَّبَع الأصلي، وزادهم عمية، ولأجل هذا المعنى فُرع عليه "فهم لا يعلمون" لنفي أصل العلم عنهم، أي يكادون أن يساوا العجماءات"³⁴.

ط. العُدُول بين المصادر:

وفي نوع آخر من العدول نجد "العُدُول بين المصادر نفسها كأن يُعدل عن مصدر المجرد إلى مصدر المزيد أو عن مصدر اللازم إلى مصدر المتعدي، ولا يخلوا كل ذلك من إضافة معنوية أو إيقاعية"³⁵.

يقول تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤﴾ سورة الشعراء الآية 04، نلاحظ في هذه الآية العدول "عن التأنيت الذي يقتضيه غير العاقل في لفظ (خاضعين) فجاء بصيغة الجمع العاقل بدل لفظ المؤنث المفرد (خاضعة)"²⁹، يقول ابن عاشور (ت 1973م) معقبا على هذه النقطة: "ومقتضى الظاهر فظّلوا لها خاضعين بأعناقهم، وفي إجراء ضمير العقلاء في قوله: خاضعين على الأعناق تجريد للمجاز العقلي في إسناد خاضعين إلى (أعناقهم)، لأن مقتضى الجري على وتيرة المجاز أن يقال لها: خاضعة، وذلك خضوع من توقع لحاق العذاب النازل"³⁰.

و. العُدُول من الفعل إلى الاسم:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ٩٥﴾ سورة الأنعام الآية 95، يقول ابن عاشور (ت 1973م) في تفسير هذه الآية: "وقد جيء بجملة: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ فعلية للدلالة على أنّ هذا الفعل يتجدد ويتكرر في كلّ آن، فهو مراد معلوم وليس على سبيل المصادفة والاتفاق. وجيء في قوله (ومخرج الميّت من الحي) اسماً للدلالة على الدوام والثبات، فحصل بمجموع ذلك أنّ كلا الفعلين متجدد وثابت، أي كثير وذاتي، وذلك لأنّ أحد الإخراجين ليس أولى بالحكم من قرينه فكان في الأسلوب شبه الاحتباك"³¹.

ز. العُدُول من صيغة فعل إلى أفعل:

يقول تعالى: ﴿فَمَهْلَ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤُودًا ١٧١﴾ سورة الطارق الآية 17، يعقب ابن عاشور (ت 1973م) قائلاً: "والتمهيل مصدر مهل بمعنى أمهل، وهو الإنظار إلى وقت معين أو غير معين، فالجمع بين (مهل) و(أمهلهم) تكرير للتأكيد لقصد زيادة التأكيد،

-عُبر عن العُدُول بمصطلحاتٍ عديدة منها: الانحراف والانزياح، والانحلال والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن، وكلّها تصبّ في معنى واحد.

-لا يوجد اختلاف واضح بين مصطلح العُدُول ومصطلح الانزياح في نظر عبد السلام المسدي، بل إنهما لا يتفقان في نقطة، وهي من حيث أن الانزياح مصطلح أجنبي بمعنى (l'écart) والعدول مصطلح عربي الأصل.

-العُدُول الصّرفي هو ترك الوزن القياسي المعروف، والاتجاه نحو استخدام وزن أو صيغة أخرى لدلالة معنوية يحتويها الوزن الأول.

-يوجد أنواع عديدة من العُدُول الصّرفي: أهمّها العُدُول في الأسماء والأفعال، والعدول في أبنية المشتقات.

-العُدُول الصّرفي ما هو إلا ظاهرة فريدة من ظواهر القرآن الكريم، التي جعلته معجزاً بنظمه متفرداً بأساليبه البليغة.

5.الهوامش:

¹⁰ ماجدة صلاح حسن، العدول الصرفي في القرآن الكريم، مجلة الجامعة، العدد 11، 2019م، ص22.

¹¹ طاهربراهيمي، بلاغة العدول الصرفي في القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير والتنوير، حوليات جامعة الجزائر1، العدد31، ج1، ص182.

¹² حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، دط، 2010، ص56.

لخضر الود، حشلافي الود، مقاصد العدول الصرفي في سورة البقرة، مجلة الإشعاع، العدد 4، جوان 2015، ص 198¹³

¹⁴ عبد الحميد أحمد يوسف هنداي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، 2002ص72.

¹⁵ ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تج: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م، ص253. وينظر: السيوطي، المزهري، ج1، ص264.

¹⁶ ابن رشيق، العمدة، تج: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط5، 1401هـ-1981م، ج2، ص279. وينظر: الثعالبي، فقه اللغة، ص253.

¹⁷ ينظر: عبد الناصر مشري، دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، 2013/2014، جامعة باتنة، ص51.

يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۚ﴾

سورة نوح الآية 17، فوظف "نباتاً" عوضاً عن "إنبتاً" لأنّ " أَنْبَتَ " على وزن "أَفْعَلَ" ومصدر "أَفْعَلَ" هو "إِفْعَال" ³⁶.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ﴾

سورة النبا الآية 28، نلاحظ أنّه قد عُذِلَ عن المصدر "تكذيباً" إلى "كذاباً" وذلك بمراعاة للإيقاع والمبالغة معاً ³⁷.

وفي الأخير يمكننا القول: إنّ أنواع الانزياحات الصّرفية ماهي إلاّ ملمح من ملامح الإعجاز القرآني، وهذه الأمثلة تعدّ نطفة ضئيلة من بحر الإعجازات اللّغوية التي يتفرد بها النصّ القرآني عن غيره من النّصوص الأخرى.

4.خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية خلّصنا إلى مجموعة من التّنتائج وهي:

- العُدُول ظاهرة بلاغية أسلوبية تعني الانزياح من صيغة إلى صيغة أخرى، لاقتضاء الحاجة لذلك.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص39.

² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان، 1399هـ-1979م، ج4، ص246، 247.

³ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج11، ص430. مادة (ع دل).

⁴ ابن جني، اللّمع في العربية، تج: حامد مؤمن، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص217.

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تج: محود شاكر، مكتبة اليازجي، دت، القاهرة، 1984م، ص429، 430.

⁶ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تج: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، ج2، ص12.

⁷ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية، تونس، ط2، 1982، ص90.

⁸ المرجع نفسه، ص106.

⁹ عبد لقاهر الجرجاني، المفتاح في الصّرف، تج: على توفيق الحّمّد، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م، ج1، ص26.

- ¹⁸ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، دار التراث، دط، دت، ج1، ص95.
- ¹⁹ المصدر نفسه، ج1، ص64، 65.
- ²⁰ الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م، ص253.
- ²¹ ينظر: عبد الناصر مشري، دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، ص54.
- ²² السيوطي، المزهري في علوم اللغة، تح: محمد أبو الفضل وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ص262.
- ²³ ينظر: عبد الناصر مشري، دلالات العدول في القرآن الصرفي، ص60.
- ²⁴ عبد الناصر مشري، دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، ص71.
- ²⁵ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، (دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص352.
- ²⁶ الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص617.
- ²⁷ الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، دت، دط، ج1، ص155.
- ²⁸ الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص231.
- ²⁹ طاهر براهيمي، بلاغة العدول الصرفي في القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير والتنوير، ص193.
- ³⁰ الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص97.
- ³¹ المصدر نفسه، ج07، ص389.
- ³² نفسه، ج30، ص286.
- ³³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص290.
- ³⁴ المصدر نفسه، ج11، ص06.
- ³⁵ عبد الناصر مشري، دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، ص99.
- ³⁶ ينظر: الزمخشري، المفصل، فخر صالح قدادة، ط1، 2004، ص188.
- ³⁷ ينظر: أحمد يوسف هندواوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص165.